

## الفصل الخامس

العناصر الأساسية  
للخطاب الناجح



obseikan.com

## الفصل الخامس

### العناصر الأساسية للخطاب الناجح

إن الخامس من كانون الثاني، يوم كتابة هذه الأسطر، هو ذكرى موت السير إرنست شاكلتون، الذي توفى أثناء إبحاره فى سفينة ( كوست ) لاكتشاف المحيط الهادى . وأول ما يلفت الانتباه لدى المرور بهذه السفينة، هى هذه الأسطر المحفورة على وعاء من النحاس :

إذا أمكنك أن تحلم من غير أن تجعل حلمك سيداً عليك ...

وإذا استطعت أن تفكر من دون أن تكون الأفكار هدفاً لك ...

وإذا أمكنك مواجهة النصر والهزيمة بروح متساوية ...

وإذا استطعت أن تلزم قلبك وأعصابك وأوتارك لخدمتك بعد اهترائها ..

وإذا أمكنك أن تتماسك حين لا يبقى منك شيئاً إلا الإرادة التى تقول

لهم ( تماسكو) ...

وإذا استطعت أن تملأ دقيقة اللاتسامح بستين ثانية من الفتور ...؛  
فإنك ستمتلك الأرض وكل ما فيها، والأكثر من ذلك، ستكون رجلاً،

يا بنى .»

لقد دعا شاكلتون هذه المقاطع (روح سفينة كوست)، وهى الروح الملائمة التى يجب على كل إنسان البدء بها للوصول إلى القطب الجنوبى؛ أو لكسب الثقة فى فن الخطابة .

لكنها ليست الروح، يؤسفنى أن أضيف، التى يبدأ بها كل من يدرس

فن الخطابة. فمنذ سنوات، عندما باشرت مهنة التعليم، صعقت لدى معرفتي بأن نسبة مئوية ضخمة من الطلاب الذين ينخرطون في المدارس الليلية على اختلافها، يصابون بالقلق والخيبة قبل تحقيق أهدافهم، وعددهم كبير ومزعج. وهذا أمر محزن من أمور الطبيعة الإنسانية.

لقد اقتربنا من منتصف الكتاب، وأعرف من خلال التجربة، أن بعض من يقرأ هذا الكتاب، يشعر بمزيد من الهلع؛ لأنه لم يتغلب على الخوف من الجمهور، ويكسب الثقة بالنفس. كم هذا محزن...!، وكم هو مسكين من ليس عنده الصبر والأناة!، فأى جرح يندمل إلا تدريجياً؟

■ ضرورة المثابرة.

عندما نباشر في تعلم أى شيء جديد كاللغة الفرنسية، أو لعبة الغولف أو فن الخطابة، فإننا لا نتقدم باستمرار. ولا نتطور تدريجياً. بل نحقق ذلك بحركات فجائية، وبدايات غير متوقعة، بعد ذلك نبقى مكاننا لفترة، أو ربما نتراجع، ونفقد بعض الأسس التي كسبناها سابقاً. وفترات الركود هذه، أو التراجع، هي معروفة جيداً لدى علماء النفس؛ وهي تدعى المنبسطات في منحني التعلم. إن بعض طلبة فن الخطابة سيتوقف لأسابيع عند هذه المنبسطات، وبرغم العمل الشاق، لن يتمكن من اجتيازها، فيستسلم لليأس. ومن له صبر؛ يثابر ويكتشف فجأة، ومن دون أن يعرف كيف ولماذا حدث ذلك...، أنه حقق تقدماً عظيماً، فيرتفع من المنبسط كالطائرة فيحصل فجأة على الموهبة. وفجأة يحصل على القوة الطبيعية والثقة بقدرته الخطابية.

ومثلما أشرنا سابقاً، ربما ينتابك دائماً خوف عارم، أو نوع من الصدمة

أو التوتر العصبى فى الدقائق الأولى التى تواجه بها الجمهور. لكنك إذا ثابت، فإنك ستتجاوز كل شيء ما عدا هذا الخوف الأولي الذى ليس سوى خوف أولياً، وليس أكثر. فبعد الجمل القليلة الأولى، تستطيع أن تسيطر على نفسك. وستحدث بفرح وارتياح.

### ■ قرار النجاح.

ذات يوم، كتب شاب ينوى دراسة القانون، إلى لنكولن يطلب نصيحته فأجاب لنكولن: «إذا قررت أن تصبح محامياً؛ تكون قد أنجزت نصف العمل... تذكر دائماً أن قرارك الذاتى للنجاح، هو أهم بكثير من سائر الأشياء».

إن لنكولن يدرك ذلك، فقد مر بتلك التجربة، وخلال حياته لم يتلق أكثر من سنة تعليم. وماذا بشأن الكتب...؟ قال لنكولن مرة: أنه مشى خمسين ميلاً ليستعير كتاباً، وكانت مدفأة الحطب تتوهج طيلة الليل فى كوخه؛ حيث كان يقرأ مستعيناً بالضوء المنبعث من تلك النار.

كان يسير عشرين أو ثلاثين ميلاً من أجل الاستماع إلى خطيب، وعندما يعود إلى منزله، يمارس الخطابة فى كل مكان - فى الحقول والغابات، أمام الجماهير المحتشدة فى مخزن جونز للبقالة فى غنتريفيل. وكان قد انضم إلى نوادٍ أدبية وفكرية فى نيو سالم وسبرينغفيلد، وتدريب على إلقاء خطب حول مواضيع راهنة، مثلما أنت تفعل الآن.

كان يرهقه دائماً الشعور بالنقص. ففى حضور النساء يجلس دائماً خجولاً صامتاً، وحين تودد إلى ماري تود، وقف فى الرواق صامتاً وغير قادر على إيجاد الكلمات، يستمع إليها وهى تدير الحديث، ومع ذلك، كان

الرجل الذى جعل من نفسه خطيباً يتناقش مع الخطيب الشهير السيناتور دوغلاس، وذلك من خلال الممارسة والدراسة فى البيت .

وهذا هو الرجل الذى استطاع أن يرتفع فى غبستسبرغ وفى خطابه الافتتاحى الثانى، إلى أعلى منزلة يصبو إليها الإنسان . فلا عجب، إزاء عاهاته وكفاحه المؤلم، أن يكتب: «إذا كنت مصمماً أن تصبح محامياً، تكون قد أنجزت نصف العمل» .

كانت هناك صورة رائعة لأبراهام لنكولن فى مكتب الرئيس . وقد قال تيودور روزفلت: «كلما توجب على اتخاذ قرار صعب، أو قرار تتنازع فيه الحقوق والواجبات، أنظر إلى لنكولن وأحاول أن أتصوره فى مكانى، وأحاول أن أفكر بما يفعله، لو واجهته ظروف مماثلة، ربما يبدو ذلك غريباً لك، لكن، بصراحة، كان ذلك يسهل على حل مشاكلى» .

لِمَ لا نجرب خطة روزفلت...؟ لِمَ لا...، إذا شعرت بالخيبة والاستسلام فى أن تصبح خطيباً، تتناول ورقة الخمس دولارات التى تحمل رسم لنكولن وتتساءل، ماذا يمكن أن يفعله لو واجهته ظروف مماثلة، أنت تعلم ما الذى يمكن أن يفعله...، وتعرف ما الذى فعله...، فبعد أن هزمه ستيفن أ. دوغلاس فى مجلس الشيوخ الأمريكى؛ حث أتباعه على عدم الاستسلام بعد هزيمة واحدة ولا حتى بعد مئة هزيمة .

### ■ حتمية المكافأة .

كم أتمنى لو تفتح هذا الكتاب أمام طاولة الفطور فى كل صباح، لمدة أسبوع، حتى تحفظ هذه الكلمات المأخوذة من العالم النفسانى الشهير وليم جايمس: «ليتجنب كل شاب القلق بشأن نجاحه، فمهما يكن نوع تعليمه،

فإنه إذا بقي مثابراً في كل ساعة من يوم عمله، يمكنه أن يترك النتيجة الأخيرة تصنع نفسها. وهو يستطيع بالتأكيد، أن يتوقع أن يستيقظ ذات صباح ليجد نفسه واحداً من رواد عصره في أي مجال يختاره».

والآن، واستناداً إلى ما قاله البروفسور جايمس، سأذهب إلى أبعد من ذلك وأقول إذا تابعت الدراسة الذاتية لفن الخطابة بإخلاص وحماس، وثابرت على التدريب الذكي؛ يمكنك أن تتأمل بأن تستيقظ ذات صباح جميل وتجد نفسك أحد أبرز الخطباء في مدينتك.

ومهما يكن الأمر رائعاً بالنسبة لك الآن، فإنه حقيقى كمبدأ عام، وبالطبع، هناك حالات استثنائية، فالإنسان الذي يتميز بعقلية وشخصية شاذة، وليس لديه ما يتحدث عنه؛ لن يتطور ليصبح مثل دانيال وبستر، لنبرهن على ذلك من خلال مثل مادي:

حضر ستوكس - حاكم نيوجرسي -، مأدبة اختتامية لفصل فن الخطابة في ترنتون، وأشار إلى أن الخطب التي سمعها من الطلاب في تلك الأمسية، كانت جيدة مثل الخطب التي سمعها في مجلس النواب ومجلس الشيوخ في واشنطن.

لقد ألقى الخطب في تلك المناسبة رجال أعمال انعقدت ألسنتهم في الماضي بسبب الخوف من الجمهور. لقد كانوا نموذجاً لرجال الأعمال الذين نجدهم في أية مدينة أميركية. ومع ذلك، أفاقوا في صباح يوم جميل، ليجدوا أنفسهم خطباء قديرين في مدينتهم.

تتوقف مسألة نجاحك كخطيب على أمرين: مقدرتك الذاتية، وعمق وقوة رغباتك. لقد قال البرفسور جايمس: «في أي موضوع تقريباً، تنقذك

عاطفتك نحو الموضوع، فإذا كنت تهتم جداً للتوصل إلى نتيجة، فإنك ستصل إليها بالتأكيد. إذا كنت ترغب في أن تصبح غنياً، فستصبح غنياً، وإذا كنت ترغب في التعلم، فستتعلم، وإن رغبت في أن تكون صالحاً، ستكون كذلك، ما عليك إلا أن تقرر، وبعد ذلك ستنشأ لديك رغبة في تحقيق تلك الأشياء».

وكان يمكن للبروفسور جايمس أن يضيف: إذا أردت أن تكون خطيباً واثقاً من نفسك، فإنك ستصبح خطيباً واثقاً من نفسه، لكن يجب أن ترغب بذلك.

لقد عرفت وراقبت عن كثب آلاف الرجال والنساء الذين حاولوا كسب الثقة بالنفس، والقدرة على الحديث أمام الجمهور. ومن نجح منهم، وعددهم قليل، هل هم من الذين يتمتعون بذكاء غير عادي...؟... إن معظمهم من المواطنين العاديين، الذين تجدهم في بلدتك، لكنهم ثابروا. وأناس الأكثر ذكاء، يصابون بالخيبة في بعض الأحيان؛ إذ ينهمكون جداً في كسب المال، فلا يحققون نجاحاً باهراً في ميدان آخر. لكن الأفراد العاديين الذين يتمتعون بالذكاء ووحدة الهدف، يصبحون في آخر المطاف في القمة.

إن هذا شأن إنساني وطبيعي. ألا ترى الشيء ذاته يحدث دائماً في الصناعة والاختصاصات...؟ لقد قال روكفلر الأكبر أن العنصر الأول للنجاح في العمل، هو الصبر، وهو أيضاً العنصر الأول للنجاح هنا.

لقد قاد المارشال فوش واحداً من أعظم الجيوش في العالم إلى الانتصار. وهو يعلن أن لديه ميزة واحدة فقط: عدم اليأس - عندما تراجع الفرنسيون إلى مارن في سنة ١٩١٤، أصدر الجنرال جفرى أوامره إلى القواد المسئولين

عن مليوني رجل بالتوقف عن التراجع والبدء بالهجوم المضاد، وكان هذا الهجوم المضاد هو الذي أنقذ باريس .

وهكذا، عندما يبدو القتال صعباً للغاية ولا أمل منه، فما عليك إلا أن تهاجم، فربما ستنقذ أفضل جزء من نفسك - تنقذ شجاعتك وإيمانك .

### ■ لا تفكر بالهزيمة .

ذات صيف، قبل سنوات، باشرت تسلق قمة في جبال الألب الأوروبية تدعى (القيصر المقفر)، قال بيديكلر أن الصعود إليها صعباً، وأن الاستعانة بدليل، هو أمر مهم للمتسلقين الهواة، وكنت أنا وصديقي من الهواة، فسألنا شخص ثالث إذا كنا نعتقد أننا سننجح، فأجبنا: «طبعاً» .

فسألنا: «ما الذي يجعلكما تعتقدان ذلك...؟» .

قلت: «لقد استطاع غيرنا ذلك من دون الاستعانة بدليل . وأعرف أن ما أفعله هو من ضمن المنطق . ولا أقوم بأى شيء وأنا أفكر بالهزيمة» .

وكمتسلق بجبال الألب، لم أكن سوى هاوٍ مبتدئ، لكن هذا هو التحليل النفسى لأى شيء، ابتداء من فن الخطابة وانتهاء بتسلق الجبال . فكر بالنجاح . تخيل أنك تتحدث أمام الجمهور وأنت تسيطر تماماً على نفسك .

من السهل أن تقوم بذلك . آمن أنك ستنجح، آمن بذلك بقوة . عندئذ ستقوم بما هو ضرورى لإحراز النجاح .

أعطى الأدميرال دوبونت ستة أسباب جوهرية لعدم قيادة مراكبه الحربية إلى ميناء تشارلستون، وكان الاميرال فاراغوت يستمع بإصغاء إلى حديثه، فأجاب: «لكن هناك سبب آخر لم تذكره» . فسأله الأدميرال دوبونت: «ما

هو...؟» وجاء الجواب: «لم تؤمن أن باستطاعتك أن تفعل ذلك». إن أؤمن شيء يكسبه المرء من خلال التدريب على فن الخطابة هو الثقة المتزايدة بالنفس، وزيادة الثقة بالمقدرة على الإنجاز، وبعد ذلك، ما هو الشيء الأكثر أهمية لنجاح المرء فى أى موضوع ينوى تحقيقه...؟

■ الرغبة فى الفوز.

هنا نصيحة حكيمة، نطق بها ألبرت هابرد، فإذا لم يأخذ الرجل أو المرأة العاديين بها، ويعيشا الحكمة الكامنة فى أعماقها؛ فإنهما لن يستطيعا أن يعيشا حياة أسعد وأغنى، : « كلما خرجت من المنزل، ارفع ذقنك وتاج رأسك نحو الأعلى واملأ رئتيك تماماً؛ انهل من الشمس الساطعة، قدم التحية لأصدقائك بابتسامة وضع الروح فى كل يدٍ مصافحة. لا تخش ألا تفهم، ولا تنفق دقيقة واحدة بالتفكير بأعدائك. حاول أن تثبت بحزم فى ذهنك ما الذى ترغب فى القيام به، ثم، ومن دون الحياذ عن الطريق، ستنتقل نحو الهدف.

وجه ذهنك نحو الأشياء العظيمة التى ترغب فى القيام بها، ثم عندما تسير الأيام، ستجد نفسك تستغل الفرص التى تحتاجها لتحقيق رغبتك، تماماً مثلما تأخذ الحشرة المرجانية العناصر التى تحتاجها من زبد البحر. صوّر بذهنك الإنسان القادر والشريف والمفيد، الذى ترغب أن تكونه، وستحولك الصورة إلى هذا الإنسان... فالفكرة هى الأساس. احتفظ بموقف ذهنى صحيح.. موقف الشجاعة والصراحة والفرح.

والتفكير الصحيح يعنى الإبداع. وكل الأشياء تنبع من الرغبة، وكل صلاة مخلصة تجاب».

اعترف نابليون وباقي الزعماء العسكريين العظماء أن إرادة الجيش بالفوز وثقته بنفسه وبمقدرته على الفوز، تفيد أكثر من أى شئ لتحقيق نجاحه .  
وقال المارشال فوش : « تسعون ألف رجل خاسر يتراجعون أمام تسعين ألف ظافر؛ لأنهم فقدوا الثقة بأنفسهم، ولم يعودوا يؤمنون بالانتصار، ولأن معنوياتهم ضعفت فى النهاية» .  
بمعنى آخر، إن التسعين ألف رجل متراجع، لم يُسحقوا جسدياً . بل تم التغلب عليهم؛ لأنهم سحقوا ذهنياً؛ ولأنهم فقدوا شجاعتهم وثقتهم بأنفسهم . فليس هناك أى أمل لمثل هؤلاء، ولا أمل لأى إنسان مثلهم .  
أجرى فرازيير - القسيس الملحق بالبحرية الأميركية - مقابلة مع الذين يرغبون فى الانخراط بالخدمة الكهنوتية خلال الحرب العالمية الأولى . وعندما سُئل عن الميزات الضرورية لنجاح القسيس البحرى، أجاب : « الفضيلة، روح المبادرة، العزم، والشجاعة» .  
تلك هى أيضاً متطلبات النجاح فى فن الخطابة . إتخذها شعاراً لك .

